

هالووين لمة عربية من وحي تقاليد غربية

الاحتفال تقليد أعمى أم بحث عن الترفيه

بات الاحتفال بعيد الهالووين يرسخ وجوده عربيا في السنوات الماضية، لكن كثيرين يؤكدون أنه احتفال غربي يعيد إلى الذكرة عادات عربية كالقرقيعان وعيد القديسة بربارة.

لندن - حاملين سلالهم البرتقالية يجوب الأطفال الأحياء بغية الحصول على الحلويات والساكرا، في تقليد سنوي ضمن عيد الهالووين. ويعرف الطقس باسم "حيلة أم حلوى" (trick or treat) حيث يقوم الأطفال في فترة العيد بالتجول من منزل إلى آخر مرتدين أزياء الهالووين، ويطلبون الحلوى من أصحاب المنازل، وذلك بإلقاء السؤال "حيلة أم حلوى؟" على من يفتح الباب، وهذه العبارة تعني أنه إذا لم يعط صاحب البيت حلوى للأطفال فإنهم سيقومون بإلقاء خدعة أو سحر عليه.

ويؤكد كثيرون أن الهالووين "احتفال غربي يعيد إلى الذكرة عادة القرقيعان التي تحتفل بها بلدان الخليج في منتصف شهر رمضان من كل عام، رغم اختلاف دلالات وجذور كل من المناسبتين".

وحسب بعض النظريات التاريخية، تعود قصة الهالووين إلى أكثر من 2000 عام، وهناك اعتقاد شائع بأن الاحتفالات تعود إلى تقاليد كلتية (أو سلتيكية) قديمة. والكلت (أو السلتي) هي مجموعة الشعوب التي تنتمي إلى الفرع الغربي في مجموعة الشعوب الهندو - أوروبية، ومن امتداداتها اللغوية والآترية والترانية الشعب الأيرلندي والإسكتلندي.

وكانت تلك الاحتفالات مرتبطة بمواسم الحصاد وجني المحاصيل. والعلاقة بين المواسم الزراعية والطقوس المرتبطة بالمجهرول والقوى الخارقة شائعة في التاريخ.

وكانت تلك الاحتفالات سابقا تتضمن "اللتبؤ بالمستقبل" في ما يتعلق بالموت والزواج وأمور شبيهة.

وفي تفسير آخر، فإن الموضوع له علاقة بعيد كلتي يسمى "سامهاين"، يرتبط ببداية البرد والظلام (حيث يقصر النهار ويطول الليل)، فوفقا للمعتقد الكلتية، يقع إله الشمس في أسر الموت والظلام يوم 31 أكتوبر. وفي هذه الليلة تتجول أرواح الأموات في ملكوتها، وتحاول العودة إلى عالم الأحياء.

هالووين والقرقيعان

ظهر هذا العيد في شكله الحديث في الولايات المتحدة في القرن التاسع عشر مع هجرة الأيرلنديين إليها ومهمهم عاداتهم وتقاليدهم وقصصهم ومنها انتقل إلى بقية العالم.

أما القرقيعان، فيرجع إلى مولد سبط النبي محمد، الحسن بن علي، إذ أن ولادته كانت في النصف من شهر رمضان. وحسب الروايات، فإن المسلمين توافدوا إلى بيت النبي لهنتته، وفي وقت العادة جارية مع مرور الزمن.

ويحيط الاحتفال كثير من الجدل، فهناك من يرى أنها عادة شعبية اجتماعية، في حين يرفضها آخرون ويعترونها من الأعياد المبتدعة التي لا أصل لها في الإسلام.

ولا يختلف القرقيعان أو القرقيعانة أو الكركيعان أو قرقيشون أو الماجينة (تختلف التسمية من بلد إلى آخر وتعني القرع على الأبواب) عن ذلك، وتعتبر من أهم العادات الشعبية الرمضانية في بلدان الخليج والعراق وجنوب إيران.

ويصادف العيد بحسب التقويم الهجري القمري منتصف شهري شعبان ورمضان، إذ يجوب الأطفال الشوارع والأزقة بلباسهم الشعبي ويردون الأهازيج ومعهم أكياسهم أو أوانهم التي يجمعون فيها ما يحصلون عليه من حلوى ومكسرات.

ووفقا للباحثة في التراث الكويتي غنيمية الفهد، يتجمع الأطفال، ذكورا وإناثا، على شكل مجموعات لكل منها زعيم، ويستخدم بعضهم الفخم أو الإنوان للرسم على الوجوه ليظهروا بشكل غريب خلال الاحتفال. وأضافت أن بعض الأطفال يحملون صندوقا حديديا أو خشبيا ويضربون عليه بعض إصدار صوت إيقاعي وسط ترديد الأهازيج الخاصة بهذه المناسبة.

وتوجد في البلدان العربية تقاليد مشابهة، إذ يحتفل المسيحيون في سوريا ولبنان والبلدان المجاورة بعيد القديسة بربارة (عاشت في القرن الثالث للميلاد) في شهر ديسمبر. ويرتدي الأطفال في هذا العيد الأزياء التنكرية، وتكون الحلوى الخاصة به مصنوعة من الفمخ، اعتقادا بأن الفمخ نبت فجاة بطريقة خارقة للعادة لمساعدة بربارة على الاختباء، ويتم الاحتفال به في ديسمبر من كل عام.

أما الكبار فيلبسون الأريدة مقلوبة، أو ترتدي المرأة ثياب زوجها، والزوج ثياب امرأته أو لباس أبيه (السروال مثلا)، ويسلقون الفمخ ويصنعون القطايف، والفمخ المسلوق كما هو معلوم، هو باكورة الحصاد والباكورة تقدم قربانا للإله في الديانات القديمة.

بينما يحتفل اليهود في إسرائيل بعيد "البوريم"، أي عيد المساخز، وفيه يتنكر المحترفون بأزياء هزلية، ويُسرفون في الشراب والضحك، وتقع فيه، جراء ذلك، حوادث العنف، وهذا العيد لدى اليهود يقع في الرابع عشر من أبريل، وهو اليوم الذي أنقذت فيه أسستير أو عشتار يهود فارس من الموت، كانها طردت إله الموت عن شعبها.

ولا يجذب المتدينون في البيئات المسيحية والإسلامية وحتى اليهودية الاحتفال بالهالووين. وبالطبع، يهاجم الهالووين في كل عام كغيره من المناسبات على غرار الفلانتاين والكريسمس. ويندد البعض بما تعنيه هذه الاحتفالات من تبعية وتقليد للغرب وتهديد للهوية.

وكل عام تتجدد دعوات مقاطعة عيد الهالووين وهذا العام علت أصوات مسيحية - عربية واصفة إياه بـ"عيد الشيطان". ويرد الموقع على ما يسميه "أقاويل" أن الهالووين حاليا هو مجرد وقت يفرح فيه الأطفال ويتمتعون فيه بالحلوى والملابس، ويقول إن الاحتفال به "بما يتضمنه من سحرة وشياطين ومشعوذين ليس سليما، لأنها عملية تطبيع لتلك

الرموز الشيطانية". واعتبر المشاركة فيه "مساهمة في عملية الارتداد عن المسيحية".

وفجأة، أصبح الشباب يترقبون الـ31 من أكتوبر بعدما كان مجرد يوم آخر في الروزنامة.

وتقول سامية خضر أستاذة علم الاجتماع بكلية التربية بجامعة عين شمس المصرية "قبل أن نحكم على هؤلاء الشباب بأنهم ضائعون أو أنهم مستهترون ويقلدون الغرب لا بد أن نستوعبهم ونعرف لماذا يتجهون لهذه الاحتفالات الغربية عن المجتمعات العربية".

وقال جمال فرويز استشاري الطب النفسي بالأكاديمية الطبية، إن الاحتفال بالهالووين هو تقليد أعمى دون وعي، ولا فهم لخطورة مثل هذه الاحتفالات التي تسبب الرعب في نفوس الأطفال خاصة أن هناك بعض المدارس تقوم بها وتنظم احتفالات لها، فالهالووين هو نوع من الغزو الثقافي، والغرب نجح في ذلك بطرق مختلفة وللأسف نحن منساقون خلفه.

سهرة الأشباح

يقول الكاتب السعودي عبدالله بن بخيت "حاولت أن أضع قائمة بما نقلد به الغرب وقائمة أصيلة لا علاقة لها بالغرب لكي أعرف. أسأل هؤلاء الذين يتبعهم التقليد ما الشيء الذي لا نقلد الغرب فيه غير العبادات؟ عندما يكتب صحفي مناديا بعدم التقليد لا يدرك أن الصحافة برمتها تقليد للغرب، والذي ينادي على تويتير يقلد الغرب تقليد للغرب وبطاقة الهوية تقليد للغرب وركوب السيارة تقليد للغرب والنزول منها أيضا تقليد للغرب وحتى لو جاء يوم وصنعتا طائرات فنحن نقلد الغرب، ويجب على هؤلاء المهولاتية أن يعرفوا أن السعوديين بشر وجزء من العالم وسوف يشاركونه أفراسه وأتراحه. هذه اسمها الحضارة الحديثة، في التاريخ ثمة قومية أو شعب تنطلق منه الحضارة ثم تصبح بعد ذلك ملكا للشعوب كلها".

وباتت فئات هامة من التونسيين بمختلف شرائحهم العُمرية تحتفل بعيد الهالووين، منهم من يُنظم الاحتفالات وسط العائلة، أما البعض الآخر، فيختار الأصدقاء ليشاركونهم هذا الاحتفال.

ورغم أن أغلبهم لا يعلم تاريخ هذه المناسبة وتفصيلها الدقيقة، إلا أنهم شدوا على أن غايتهم الأساسية هي الترفيه عن النفس ومشاركة الأصدقاء والأقارب هذه الحفلة التنكرية.

وتقول سيدة (54 عاما) التي تشتغل في بنك إنها اضطرت هذا العام لإقتناء لباس تنكري من محل في حين أنها كانت تقطن لباسا خاصا لابنها (13 عاما) كل عام في الهالووين للمشاركة في احتفالات تقيمها مدرستها، وتضيف أنها بعد تلقيها دعوة من أصدقائها للسهر في منطقة بضاحية قُصرت أصبحت مجبرة بدورها على اقتناء لباس سهرة هالووين.

وتؤكد بائعة في المحل بضاحية المرسي الواقعة أن نسبة الإقبال على شراء ملابس الهالووين تعتبر هامة هذا العام، حيث أن هذه المناسبة أصبحت عبارة عن تقليد سنوي بالنسبة للتونسيين.

وأصبح الهالووين مناسبة يهتَم بها التونسيون كغيرهم في البلدان العربية سنة بعد أخرى وتُعتبر فضولهم ويصل البعض حتى إلى مرحلة إتفاق مبالغ هامة من المال للاحتفال بها.

وبدأت الفنون التنكرية في السعودية تحظى بشعبية وتؤكد ممثلة عن متجر "ملكة التنكر Kingdom of Costumes"

المختص ببيع الأزياء التنكرية عبر الإنترنت زيادة المبيعات في شهري أكتوبر ونوفمبر.



«رعب» يملأ الأرياء



عيد القديسة بربارة محاكاة لهالووين

وأضاف "وصلتنا موضة الهالووين إلى سوريا عام 2009، لكنها بقيت ضمن حفلات خاصة، بعكس عيد البربارة الذي تنظمه المدارس والكنائس". وفي القاهرة، تنحصر احتفالات الهالووين ببناء الطبقات الأكثر حُصلا. وتحتفل بعض المدارس الدولية والمقاهي والمجمعات التجارية ببعض الزينة المناسبة مع أجواء الرعب.

دعوات مقاطعة عيد

الهالووين تتجدد كل عام

وهذا العام علت أصوات

مسيحية - عربية واصفة

إياه بـ«عيد الشيطان»

وفي الإمارات وخاصة دبي تخصص بعض الأماكن للاحتفال بهذا اليوم، وتشترط في بعض الفنادق ارتداء الزائرين للأزياء التنكرية، وتقديم الجوائز لأجمل أزياء مرعبة.

أما في الأردن فاحتفال الهالووين ممنوع، وذلك بسبب أحداث العنف الذي رافقه عام 2014، حيث كانت هناك أعمال شغب وقعت بمنطقة عدون غربي العاصمة عمان، على خلفية محاولة مجموعة من الشبان منع إقامة احتفال هالووين، وتخللت ذلك أعمال شغب.

كما ألت السلطات الأمنية في الكويت القبض على عدد من الشباب والفتيات، كانوا يحتفلون بالهالووين. وأوضح حساب "مفتش الكويت" على تويتر المصرح من وزارة الإعلام الكويتية أنه جرى ضبط المحتفلين متلبسين في سهرة أطلق عليها "سهرة الأشباح".

ويعدّ متجر "ملكة التنكر" الأول من نوعه في السعودية، ولديه فروع في الإمارات والكويت والبحرين ومختلف المدن السعودية.

وتعلم راكان أحمد تقنيات الماكياج المتقدمة بجهد شخصي، وهو واحد من فنانين سعوديين كثر يهتمون بفن الماكياج السينمائي والتنكر. ويقول "يعطيني هذا النوع من الرسم حرية أكبر، فلا أكون محدودا فقط بمساحة الورقة". ويضيف "هناك رفض اجتماعي نوعا ما لهذا النوع من الفن، لأن البعض لا يميزون بين الماكياج التخصصي الفني والماكياج التجميلي، ما يضع حواجز في وجه بعض الفنانين العاملين في هذا المجال".

وتقدم محلات التجميل في هذا اليوم عروضاً خاصة على ماكياج هالووين. وهناك أشكال والأوان من ملابس وأقنعة الهالووين، تتغير عبر الأجيال وتتابع آخر تقنيات الموضة، ولكنها تدور حول فكرة الموت والأشباح بشكل عام.

وفي السنوات الأخيرة بدأت الملابس والأقنعة تستقي أفكارها من شخصيات أفلام هوليوود، وحتى من السياسيين.

ويحاول الشبان والفتيات الإبداع في اختيار ملابس مثيرة للدهشة، ولا يندر أن يطعموها بظواهر رومانسية أو مثيرة جنسيا.

وفي العراق قال صابر "اتفقنا على تنظيم حفلة بانقعة الغاز، اقتديناها في وقت سابق"، وذلك من وحي الاحتجاجات التي شهدتها العراق.